بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمدًا لله وصلاةً وسلامًا على عباده الذين اصطفى وبعد؛

فابنَ مالك – رحمه الله - من النحاة ذَوِي أعمقِ الأثر في الدرس النحوي؛ فهو من النحاة الذين أحدثوا نقلة نوعية فاصلة في تاريخ النحو العربي بحثا وتعليما، وقد جعله أحد الباحثين صاحبَ مدرسةٍ تُنسَبُ إليه([1]).

ومِنْ ثَمَّ كان بحثي هذا الذي جاء بعنوان: "المعنى النحويُّ عند ابن مالكٍ من خلال كتابَيْه : شرحُ التسهيل وشواهدُ التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح". والمعنى النحوي المذكور هاهنا يقصد به شيئان؛ الأول: هو المعنى الصيغي المستفاد من صيغة الكلمة، والثاني هو المعنى التركيبي الناشئ من العلاقات بين وحدات التركيب والوظائف التي تؤديها، وترتيب هذه الوحدات داخلَه.

وقد صرح ابن مالك بهذين الضربين، في كتابه: شرح التسهيل، بقوله: "وينبغي أن تعلم أن المعاني التي تعرض للكلم على ضربين؛ أحدهما: ما يعرض قبل التركيب؛ كالتصغير والجمع والمبالغة والمفاعلة والمطاوعة والطلب، فهذا الضرب بإزاء كل معنى من معانيه صيغة تدل عليه، فلا حاجة إلى الإعراب بالنسبة إليه. والثاني من الضربين: ما يعرض مع التركيب؛ كالفاعلية والمفعولية والإضافة، وكونِ الفعل المضارع مأمورا به أو معطوفا عليه أو علة أو مستأنفا . وهذا الضرب تتعاقب معانيه على صيغة واحدة فتفتقر إلى إعراب يميز بعضها عن بعض"([2]).

وكان اختياري كتابَيْه: "شرحُ التسهيل" و"شواهدُ التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح" مجالا للتطبيق عنده؛ نظرًا لأنهما معا يكشفان عن الفكرة التي يرمي إليها البحثُ كشفا موازنا بين التقعيد والتطبيق؛ إذ الأولُ منهما يمثل المستوى التقعيدي ؛ إذ إنه كتابٌ راصدٌ للقواعد النحوية. أما الثاني فهو يمثل المستوى التطبيقي؛ إذ إن ابن مالك يعالج فيه النص – وهو هنا الحديث النبوي – من خلال النظرية النحوية ، أو هو يطبق النظرية النحوية على النص فيه ، أو هو يعرض فيه القاعدة النحوية من خلال النص.

وانطلاقا من فرضية يفترضها البحث مفادها أن البعد المعنوي النحوي في تناول التراكيب وتحليلها وتوجيهها لم يغب عن الدرس النحوي ، ومن ثم لم يكن هذا الدرس شكليا

---

[1]) انظر: تطور الدرس النحوي، للدكتور حسن عون: 7 . طبعة معهد البحوث والدراسات العربية، 1970م

[2]) انظر: شرح التسهيل, لابن مالك:34/1 .تحقيق د.عبد الرحمن السيد ، د.محمد بدوي المختون. الطبعة الأولى، دار هجر، - 1410هـ - 1990م

بحثا، بيد أن النحاة تفاوتوا في مدى الركون إليه([3]). أقول: انطلاقا من هذا يفترض البحث فرضية أخري هي أن ابن مالك من هؤلاء النحاة الذين برزت عندهم هذه الفكرة ، فكان للمعنى النحوي عنده دور وأثر في تحليله للتراكيب وتوجيهه لها ولمفرداتها.

وتثير هذه الفرضية عدة سؤالات تمثل إشكال البحث ؛ منها: ما مفهوم المعنى النحوي عند ابن مالك؟ وهل كان ابن مالك مدركًا للبعد المعنوي وأثرِه في التحليل والتوجيه النحوي؟ وإذا كانت الإجابة بالإيجاب فهل كان لهذا المعنى أثرٌ في معالجات ابن مالك للتراكيب؟ وما مظاهر ذلك الأثر وأماراته؟ وهل تبَايَنَ هذا الأثرُ واختلف عنده بين التنظير – ويمثله كتاب "شرح التسهيل" – والتطبيق – ويمثله كتاب "شواهد التوضيح والتصحيح" -...؟ وغير ذلك من الأسئلة التي حاول البحث الإجابة عليها مستعينا بعدة إجراءات تضافرت فشكَّلتْ منهجيةَ البحث؛

هي:

1- الاستقراء ؛ ومعناه جمع المادة العلمية الخاصة بموضوع الدراسة من كتابَيْ ابن مالك.
2- التحليل ؛ وهو معنِيٌّ بتشريح المادة العلمية المستقراة وسبر أغوارها للوصول إلى نتائج جزئية.
3- التجريد ؛ وهو تجريد المادة المحلَّلة وتصنيفها في أنساق تشكِّلُ الهيكلَ العامَّ للبحث.
4- الموازنة ؛ وهو إجراء تطلَّبه البحث ؛ حيث وازن - في محور من محاوره – بين المادة العلمية المرصودة المحللة من كتاب تقعيدي لابن مالك هو: "شرح التسهيل" ، وبينها من كتاب تطبيقي له أيضا هو: " شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح".
5- التقييم ؛ وهو إجراء حُكِمَ من خلاله على المادة العلمية ، ووصَل البحثُ به إلى نتائج كلية حاكمة للبحث.

---

[3]) ينظر في ذلك: "الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة" للدكتور محمود عبد السلام شرف الدين: 22- 23 . الطبعة الأولى . دار مرجان للطباعة. القاهرة 1404هـ - 1984م. و"نحو النحو ...مداخل للنحو في الكتاب" له أيضا : 30 – 35 ، 64 الطبعة الأولى . دار الثقافة العربية ، القاهرة، 1430هـ - 2009م . و"الفعليات" له أيضا : 293 الطبعة الأولى, دار مرجان للطباعة. القاهرة . 1401هـ - 1980م. وينظر كذلك كتاب: تطور الدرس النحوي.: 91 – 93 . وكتاب: كتاب سيبويه .. مادته ومنهجه. للدكتور محمد حسن عبد العزيز: 134 الطبعة الأولى . دار السلام ، القاهرة، فقد عقد فيه مبحثا عن التوازن بين الشكل والمعنى، ونقل عن رمزي البعلبكي في كتابه:" THE LEGACY OF THE KITAB " وجود محاولات قليلة لتعظيم دور المعنى في التحليل النحوي؛ فالجاحظ (ت255هـ) وابن جني (ت392هـ) والسهيلي (ت581هـ) يعدون من بين أظهر المؤلفين في ذلك. وينظر كذلك: " فاعلية المعنى النحوي في بناء الشعر" بحث للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف :130، منشور في مجلة: "دراسات عربية وإسلامية" عدد: 1 . 1983م .

وقد انتظم البحثُ في مقدمة وثلاثة محاورَ وخاتِمة، مثلت ثلاثةُ المحاورِ ثلاثةَ مستويات ناقشْتُ من خلالها المعنى النحوي عند ابن مالك؛ هي كما يلي:

- مستوى المصطلحات.
- مستوى التبويبات.
- مستوى المعالجات تقعيدا وتطبيقا.

ومن ثم كانت محاور البحث على النحو التالي:

*المحور الأول: دور المعنى النحوي في المصطلحات ومفاهيمها .

*المحور الثاني: دور المعنى النحوي في التبويب.

*المحور الثالث: معالجة المادة النحوية في ضوء المعنى النحوي تقعيدا وتطبيقا.

وبعد فهذا البحث محاولة ساعية إلى رصد دور المعنى النحوي وكشفه وتحليله على عدة مستويات عند ابن مالك في كتابين من كتبه ، وأرجو أن أكون قد حققت هذه البُغية ، مع قناعتي التامة بأن الموضوع قابلٌ للتعمق وتوسيع المجال، إنْ عند ابن مالك وإنْ عند غيره من النحاة، على ما ذكرت في توصيات البحث.

ومن الله سبحانه أستلهم العون والتيسير والتوفيق والسداد، وهو حسبي ونعم الوكيل.

بشير أحمد محمد عبد الحي الدماطي

مدرس مساعد بقسم النحو والصرف والعروض

بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة